هل هنالك علاقة مباشرة بين الشعور بالتهديد من الصراع المستمرّ، وأنماطِ التصويت؟

منال شلبي*

هل من الممكن تحليل معركة الانتخابات الأخيرة دون التشديد على خصوصيّة الظروف التي رافقتها؟ يأتي هذا التساؤل بعد متابعة بعض من الاستطلاعات التي أجريت مؤخّرًا، والتي تطرّقت إلى أنماط التصويت وتصرّفات المواطنين السياسيّة، حيث يلاحَظ أنّ معظم هذه الاستطلاعات لم تتطرّق إلى حرب غزّة الأخيرة وتأثيرها على المواطنين العرب واليهود على حدّ سواء، بل عوّمت الحديث عنها وغيّبت إسقاطاتها ووقعها النفسيّ والمعنويّ على المواطنين ومدى تأثير هذه العوامل النفسيّة على قرارهم في المشاركة في التصويت أو عدم التصويت، فمن المتوقّع أن يكون للأحداث السياسيّة الكبيرة، كالحرب، تأثير على تحليل القضايا السياسيّة لدى المواطنين ولدى متّخذي القرارات على حدّ سواء وبالتالي على أشكال مشاركتهم السياسيّة.

السؤال الذي يُطرح هنا: هل الصحّة النفسيّة للناخبين تؤثّر على بلورة آرائهم تجاه الطرف الآخر؟ وهل لهذه الآراء تأثير على القرار في المشاركة في التصويت للانتخابات البرلمانيّة بشكل خاصّ، والمشاركة السياسيّة العامّة بأشكالها المتعدّدة بشكل عامّ؟

هذا السؤال وأسئلة أخرى حاولنا الإجابة عنها من خلال البحث الذي أجريناه في جامعة حيفا[1] حول تأثير الانكشاف للصراع وإسقاطات هذا الصراع: كالعنف والأضرار النفسيّة والاقتصاديّة والجسديّة على المشاركة السياسيّة للمواطنين في البلاد.

[1] أُجريَ البحث في قسم العلوم السياسيّة باشتراك مجموعة الباحثين الذين تظهر أسماؤهم: إبراهيم خطيب؛ أوهاد شاكيد؛ كرميت رابابورت؛ منال شلبي -وباشراف وتوجيه د. دافنا كانيتي.

أُجْرِيَ الاستطلاع في قسم العلوم السياسيّة في جامعة حيفا خلال الحرب الأخيرة على غزّة أي في شهر تشرين الثاني من العام 2012. وقد شارك فيه 1,060 شخصًا بالغًا في البلاد تتراوح أعمارهم بين 18 وَ 70. من خلال البحث، حاولنا فحص مواقف كلا الطرفين تجاه المصالحة والاستعداد للتوصّل إلى تسوية مع الشعب الفلسطينيّ، بالإضافة إلى فحص شرعيّة استعمال العنف والقوّة كحلّ للصراع الفلسطينيّ الاسرائيليّ والشعور بالتهديد الفرديّ والجماعيّ وجوانب واضطرابات نفسيّة نتيجة لصدمة الحرب والمشاركة السياسيّة للمواطنين.

تُظهر نتائج البحث الأوّليّة أنّ 52% من المواطنين اليهود قلقون من احتمال أن تُهاجَم اسرائيل مستقبَلاً بقذائف وصواريخ من قِبل الجانب الفلسطيني مقابل 37% من العرب القلقين من ذلك. وعبّر 63% من المشاركين العرب في الاستطلاع عن أنّه لا يساورهم القلق بشأن مهاجمة إسرائيل في المستقبل في أيّ حرب قد تقع مع الجانب الفلسطيني، وكذلك عبّر 41% من العرب عن خوفهم من احتمال مهاجمة إيران لإسرائيل، مقابل 30% من اليهود الذين عبّروا عن خوفهم من مهاجمة إيران لإسرائيل.

بالرغم من الفارق في مستوى المخاوف والضغوط النفسيّة التي ساورت اليهود والعرب في تلك الفترة، في الإمكان إيجاد تشابُه في بعض ردود الفعل للأحداث الأخيرة، إذ بلّغ 84% من المشاركين اليهود في البحث وَ 73% من العرب بأنّهم شعروا بمؤشّرات "ما بعد الصدمة" نتيجة للتعرّض المباشر وغير المباشر للحرب. من ضمن الأعرض: الشعور بالقلق، والكوابيس، وعدم القدرة على ممارسة الفعّاليّات اليوميّة والانقطاع عن البيئة المحيطة وعدم القدرة على القيام بالفعّاليّات اليوميّة الاعتياديّة.

ما يثير الاهتمام في نتائج البحث، بالرغم من وجود علاقة مباشرة بين الشعور بالخوف من إسقاطات الحرب وتأييدِ القيام بعمليّة عسكريّة ضدّ الفلسطينيّين، هو أنّه (وعلى نحوٍ مفاجِئ) عبّر 45% من المشاركين اليهود في البحث عن معارضتهم الشديدة لاستعمال القوّة ضدّ الطرف الآخر، في الإجابة منهم عن السؤال "هل كنت توافق على استعمال العنف حتّى لو أدّى ذلك إلى إيذاء مدنيّين أبرياء من

الطرف الآخر؟"، بينما أيّد 43% منهم حلّ "دولتان لشعبين" الذي يشمل اعترافًا متبادلاً بإسرائيل كدولة للشعب اليهوديّ وفلسطين دولة للشعب الفلسطينيّ. في المقابل، عبّر 72% من العرب عن معارضتهم لاستعمال القوّة والعنف مع الطرف الآخر، ولم يبلُغ سوى 22% منهم عن دعمهم لحلّ الدولتين لشعبين.

في عمليّة تصنيف المواطنين حسب انتمائهم السياسيّ، تبيّن أنّ نحو نصف مصوِّتي أحزاب اليمين (51%) يميلون إلى دعم الحلول العنيفة تجاه الطرف الآخر، مقابل 18% من مصوّتي أحزاب المركز وَ 8% من مصوّتي أحزاب اليسار.

في هذا البحث، تبرز العلاقة بين الشعور بالخوف والتهديد، من جهة، وتأييدِ استعمال العنف ضدّ الطرف الآخر، من جهة أخرى. كذلك تبرز العلاقة بين الشعور بالتهديد والحزب الذي سيجري التصويت له؛ فقد بلُغ 26.7% من المشاركين في البحث والذين صرّحوا بأنّهم سيصوّتون لحزب العمل بأنّهم شعروا بالخوف والتهديد بشكل كبير خلال فترة حرب غزّة، مقابل 53% من الذين صرّحوا بأنّهم سيصوّتون لحزب "الليكود بيتنا" شعروا بالخوف والتهديد، وَ 40% من الذين صرّحوا بأنّهم سيصوّتون لحزب ميرتس بالخوف والتهديد خلال الحرب، وكنتيجة لهذا الشعور بالخوف أيّد 50.4% من مصوّتي حزب العمل استعمال العنف والأعمال العسكريّة بشكل كبير جدًّا ضدّ الطرف الآخر. في المقابل، أيّد 51% من مصوّتي "الليكود بيتنا" استعمال العنف والأعمال العسكريّة. وأيّد 38% من مصوّتي ميرتس العنف والأعمال العسكريّة ضدّ الطرف الآخر.

يُستدَلّ من المعطيات أنّ أكثر من نصف المشاركين اليهود في البحث ينتابهم شعور بالخوف من احتمال أن تُهاجَم دولة إسرائيل مستقبَلاً بقذائف أو بصواريخ، وكنتيجة أوّليّة مباشرة لهذا الخوف عبّر هؤلاء عن نيّتهم التصويت للحزب الأكثر يمينيّة؛ "الليكود بيتنا". هذا هو المستوي العمليّ الأوّليّ للانكشاف للصراع العنيف المستمرّ ولإسقاطاته العديدة، والذي يُترجَم إلى خطوات عمليّة من خلال أنماط التصويت للأحزاب التي تُصوَّر كأحزاب قادرة على توفير الأمان الشخصيّ والسياسيّ للمواطنين.

وعلى الجملة، لا يزال الصراع الفلسطينيّ الإسرائيليّ يحتلّ مكانة مركزيّة في التجربة اليوميّة للمواطنين، ولا تزال إسقاطات هذا الصراع تحمل لدى المواطنين نفسيّة وعقليّة الضحيّة. إنّ نتائج البحث الأوّليّة تُشير إلى أنّه هناك أزمة نفسيّة عميقة تعصف بالمواطنين اليهود والعرب على حدّ سواء، وكذلك يُستدَلّ من هذه النتائج أنّ هنالك أزمة مفاهيم وغياب رؤية لحلّ سياسيّ للصراع الدائر. حاول البحث فحص مفاهيم المواطنين في البلاد، من خلال التجربة الحيّة والملموسة للصراع في وقت الحرب وتأثيره عليهم. فاختلاف المفاهيم يشكّل أساس التمايز بين المواطنين في التجارب النفسيّة والمعنويّة التي تختلف من شخص إلى آخر، ومن مجموعة إلى أخرى. هذا الاختلاف يؤثر على ردود فعلهم، وعلى أنماط تفكيرهم، وعلى قراراتهم، وبالتالي على أنماط تصويتهم التي تختلف في ما بين العرب واليهود، والتي تعكس التفاعل بين المبادئ العامّة والتجربة الخاصّة -وهنا تكمن أهمّيّة فحص المواقف من خلال التجربة وخصوصيّتها.

*__منال شلبي__ هي ناشطة نسوية وطالبة لقب ثالث في قسم العلوم السياسية- جامعة حيفا.